رمضانيات (1)

خارج إطار الصوم

محمد عوض الله العمري

لكل عِقْد واسطة، والعِقْد وجمعه (عُقُودٌ) هو خَيْطٌ يُنْظَمُ فيه الخَرَزُ ونحوهُ يُحيطُ بالعُنُقِ. (القلادة)

وواسطته أي منتصفه ووسطه، وتكون خرزة أو جوهرة متميزة بحجمها ولونها، وهي أنفس ما انتظم في العِقد.

قال ابن الرومي: تَوَخَّى حِمامُ الموتِ أَوْسَطَ صِبْيَتي فَلِلَّه كيف اختار واسطة العِقْدِ

وقال أبو تمام: فأَضْحَتْ بِكَ الأحْياءُ أَجْمَعُ أُلْفَةً كما أُحْكِمَتْ في النَّظم واسطةُ العِقدِ

ولشهور السنة القمرية التي تمثل عِقدًا واسطة تجمّل هذا العقد، فشهر رمضان يمثل واسطة العقد بالنسبة لشهور السنة.

وشهر رمضان هو الشهر التاسع في الشهور العربية القمرية، والتسمية مأخوذة من الرمض والرمضاء وتعني شدة الحر.

وسمي هذا الشهر بـ(رمضان) لأن العرب حين نقلت أسماء الشهور من اللغة القديمة وضعت اسم كل شهر بحسب معناه في وقت التسمية فربما صادف وقت النقل والتسمية أن ترتيب شهر رمضان كان في شدة الحر فوضعوه في الشهر القمري المناسب وهكذا بقية الشهور.

ومن العلماء من قال لأنه يرمض الذنوب ويحرقها، والرأي الأول أوجه.

ومنهم من قال إن رمضان لا يأتي إلا في شدة الحر (الصيف) حين كان العرب يقرون النسيء قبل أن ينفيه الإسلام.

وإضافة لما لشهر رمضان من خصوصية دينية تميزه عن بقية الشهور متمثلة في الصيام والقيام وزيادة الأعمال الصالحات لما فيه من مضاعفة الأجر، واختصاصه بليلة القدر، إلا أن هناك طقوس أخرى ذات طابع اجتماعي تغلف الأجواء العامة في المجتمعات الإسلامية، تختلف من إقليم إلى آخر ومن مجتمع إلى مجتمع آخر إلا إن الطابع العام يكون متشابهًا لحدٍ كبير.

في بعض المجتمعات يكون الاستعداد مبكرًا لشهر رمضان بتعليق الزين في الطرقات قبل دخول الشهر بأيام عدة، تمثل احتفالاً بمقدم الشهر الكريم، وتزف التهاني والدعاء بالعودة ومد يد العون للأسر المحتاجة، وتبادل الأطعمة بين الجيران في تكافل اجتماعي فريد، وتذكر الأقارب والأصدقاء وتزاورهم، وأيضًا تغير النظام الغذائي خلال هذا الشهر من خلال نوعية الأطعمة التي غالبًا ما تكون ملازمة لشهر رمضان، بل تكاد لا تذوقها إلا فيه.

فالتمر والسويق (الخواضة) والشوربة والسمبوسة والكنافة والقطائف وغيرها من الأطعمة والأكلات التي تقول على لسان الحال لها في آخر ليلة من ليالي شهر رمضان (من العايدين!) ومشروبات التوت والسوبيا والليمون وقمر الدين وغيرها ينطبق عليها ما ينطبق على سابقها من الأطعمة.

تتعكر أمزجة بعض الناس آخر النهار لأسباب مختلفة، ولكن ما أن يحل إفطارهم إلا والفرح والهدوء يسيطر على طبائعهم من جديد (فللصائم فرحتان...).

ومن المظاهر المختصة بشهر رمضان بعض الألعاب للصبية والتي تختتم بنهاية رمضان على أمل اللقاء في رمضان القادم.

وكان في بعض المجتمعات يجتمع الناس ليلاً في مكان عام أو مقهى حين ينصب كرسيًا للحكواتي الذي يروي لهم قصصًا وحكايات من الموروث القديم، ويتحكم في طريقة استثارة الحضور وكيفية انهاْ الحلقة. هذا قبل أن يستبدل الناس دور الحكواتي بأجهزة المذياع (الراديو) والتلفاز إلى أن وصل الأمر إلى الأجهزة المحمولة التي توفر كل ما يطلبه الناس وكل حسب ذائقته واختياره، مع استمرار الخيام الرمضانية في بعض المجتمعات حتى الآن.

من يتذكر (المسحراتي) الذي يوقظ الناس للسحور ويتحسر على تلك الأيام لعله لم يدرك من ذلك الماضي إلا اللمحات السعيدة، وهذا من طبيعة البشر، لكنه تناسى كم أسرة باتت واستيقظت دون سحور!

والفانوس إذ يعتبر أحد الأدوات التي لازالت تستخدم كأحد رموز شهر رمضان وربما كان الهوية البصرية الرئيسية له.

شهر رمضان ليس للصلف ولا للترف، بل هو الخير كل الخير، هو تذكر الجياع والفقراء والمعوزين من خلاله.

ومن مظاهر هذا الشهر المبارك موائد الإفطار التي يجتمع فيها الصائمون بتفاوتهم الاجتماعي للإفطار من مائدة واحدة ودون تمايز، وفيه كذلك تجتمع الأسرة على مائدة الإفطار والسحور دون اعتذار أحدهم.

ومدفع رمضان الذي كان أحد أهم الإشارات الصوتية وقت الإفطار، وإن كانت أتت متأخرة ورحلت مستعجلة.

ورغم كل الإيجابيات في عادات هذا الشهر الفضيل إلا إن بعض العادات السلبية تكدر صفو هذا القراح كالإسراف والتبذير، لذلك على الجميع الحرص على حفظ النعمة ففي ذلك شكر لله واستدامة للنعم.

(رمضان كريم) جملة تسمعها طيلة الشهر الفضيل، تقال للتذكير بالكرم والتسامح والتصالح والتعاون ونبذ الخلافات وترك الأحقاد. ما أجملها من عبارة يقولها الجميع حسب اختلاف أعمارهم وتعليمهم، تحمل رسالة عظيمة وقيمة رفيعة وتلقى استجابة سريعة من الناس.

(تهنَّ بهذا الصوم يا خير صائر إلى كل ما يُهوى، ويا خير صائم

ومن صام عن كل الفواحش عمره فأهون شيء هجره للمطاعم)

*ابن سناء الملك